١ – جذور حرب يونيو ٦٧

لقد كنت ضمن القوات المسلحة فى سيناء فى مايو ١٩٦٧ ، وعدنا منها فى يونيو ، شاهدت خلالها أحداثاً سريعة متتالية . بدأت الأحداث بمعلومات غير صحيحة عن حشد للقوات الإسرائيلية على الحدود السورية للاعتداء عليها ، ترتب عليها عمل مظاهرة عسكرية فى مصر ، تحولت إلى حرب حقيقية لم تكن مصر والدول العربية جاهزة لخوضها بينما كانت إسرائيل على استعداد لها .

اشتملت هذة الأحداث على التقديرات السياسية والعسكرية الخاطئة ، والمغامرات السياسية غير المحسوبة ، والمؤامرات المخططة لاستدراج مصر والأردن وسوريا للحرب وإيقاع الهزيمة بها . وانتهت حرب يونيو ١٩٦٧ باستيلاء إسرائيل على سيناء والضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة والمرتفعات السورية (الجولان) ، [illegible]شهاد آلاف الرجال على أرض المعارك .

كان من الضرورى أن تكون الدروس المستفادة من هذه الـ[illegible]ـم أعيننا باستمرار « دون[1] أن نستسلم للحرب النفسية التى شنت علينا بمئات الكتب والمقالات فى محاولة أن تجعل للهزيمة أبعاداً أكثر من حقيقتها ، أى أن تثبت أن أسباب الهزيمة أبدية وأزلية وكامنة فى طبيعة شعبنا وقدراته . كما أنه من ناحية أخرى لا يجوز مطلقاً محاولة التقليل من العوامل التى قادت إلى الهزيمة ، ولا الاعتذار عنها بأى شكل من الأشكال . هناك منطقة وسط بين تعذيب النفس وبين دفن الرأس فى الرمال ، هى المنطقة التى

(١) أحمد بهاء الدين – وتحطمت الأسطورة عند الظهر .

يجب أن نقف فيها ونستخرج منها الدروس الصحيحة التى يتعلمها شبابنا وأبناؤنا . بهذه السلسلة المتصلة من الهزائم والانتصارات يتواصل تاريخ كل شعب ، إنما المهم دائما هو استخلاص النتائج الصحيحة » .

وكما قلت فى الندوة الدولية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ التى عقدت بجامعة القاهرة عن الاستراتيجية العسكرية لتلك الحرب ، إن الأساس الأول الذى بنيت عليه استراتيجية حرب أكتوبر كان « دروس هزيمة يونيو ١٩٦٧ » وهى الاستراتيجية التى وضعت من واقع مرير عاشته مصر والأمة العربية بعد حرب يونيو ، وصاغتها بالعرق والدم من دروس الحروب السابقة .

وللخروج بالدروس المستفادة من حرب يونيو ١٩٦٧ ، لا بد من إلقاء نظرة عليها لأننا – نحن العرب – ما زلنا نعيش بعض آثارها القائمة ، والعبرة التى يجب أن نخرج بها بالغة الأهمية . فقواتنا المسلحة اشتركت فى حرب يونيو ١٩٦٧ وحرب أكتوبر ١٩٧٣ ضد نفس العدو الإسرائيلى ، واختلفت النتيجة اختلافاً واضحاً بين الهزيمة والنصر . وأغلب الرجال الذين اشتركوا فى حرب يونيو هم الذين اشتركوا فى حرب أكتوبر بفاصل زمنى حوالى ست سنوات ، وهى فترة زمنية قصيرة لا يمكن أن يقال إن جيلاً حل محل جيل . وبعض القادة الذين أحيلوا للتقاعد فى أعقاب حرب يونيو – لأسباب غير عسكرية – أعيدوا للخدمة مرة أخرى وقادوا تشكيلاتهم بنجاح فى حرب أكتوبر وكانوا من قادة قوات العبور . وأكثر من ذلك فإن الموقف الاستراتيجى العسكرى فى أكتوبر ١٩٧٣ كان أصعب منه فى حرب يونيو ، وبرغم ذلك فقد عبرت قواتنا الهزيمة ، وحققت النصر فى ظروف سياسية وعسكرية أعقد مما كانت فى يونيو ١٩٦٧ .

أليس هذا مما يدعو إلى البحث للخروج بالدروس المستفادة ؟
ماذا حدث فى حرب يونيو ١٩٦٧ ؟ وكيف حدث ؟ ولماذا حدث ؟

□ □ □

لقد دخل الشرق الأوسط مرحلة جديدة فى تاريخه منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر . وهى ثورة سياسية واقتصادية واجتماعية ، كان لها أثرها العميق فى مصر وصداها الكبير بين الشعوب العربية ، وتأثيرها الشديد على مصالح القوى الكبرى فى

هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة من العالم والتى تتصارع فيها القوتان العظميان – الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي – منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .

ومهما اختلف المؤرخون فى تقييم سياستها الداخلية والخارجية ، فإن ثورة يوليو تعتبر نقطة تحول فى تاريخ مصر والوطن العربى والصراع العربى الإسرائيلى .

حققت الثورة فى سياستها الخارجية – خلال السنوات الست التالية لقيامها – الاستقلال الوطني بإنهاء الاستعمار البريطانى لمصر عام ١٩٥٤ بعد أن دام أربعة وسبعين عاما ، وكسر احتكار السلاح لأول مرة فى تاريخ مصر بعقد صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٥ الأمر الذى أثار غضب الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا ، وتأييد ثورة الجزائر سياسياً وماديا مما ألهب شعور فرنسا ضد العرب وشعور العرب ضد فرنسا ، وتأميم شركة قناة السويس عام ١٩٥٦ التى كانت تمثل المصالح الإنجليزية والفرنسية فيها دولة داخل الدولة ، والوقوف ضد الاعتداء الثلاثى الإنجليزى الفرنسى الإسرائيلى بشجاعة ، حتى حققت مصر انتصارها السياسى على الدول الثلاث فى نفس العام ، وتحقيق الوحدة مع سوريا وإعلان قيام « الجمهورية العربية المتحدة » عام ١٩٥٨ الذى كان يمثل قمة انتصارات الثورة فى سياستها الخارجية ، وهو أمر لم تقابله الدول الكبرى – غربية وشرقية – بالرضا أو الارتياح .

وكانت سياسة مصر الخارجية واضحة فى المناداة بالقومية العربية ، والوحدة العربية ، وعدم الإنحياز ، ومعارضة الأحلاف العسكرية والوقوف ضدها ، ومعاونة الدول العربية والإفريقية للحصول على استقلالها ، والعمل ضد أطماع إسرائيل فى المنطقة ، والسعى لاستعادة حقوق الشعب الفلسطينى .

كل ذلك جعل الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا تناصب مصر العداء ، وتكن كراهية شخصية للرئيس جمال عبد الناصر الذى أصبح زعيماً وطنياً فى الوطن العربى بلا منازع ، لأنها كانت ترى أن سياسة مصر برئاسة عبد الناصر تعرض مصالحها فى المنطقة للخطر فى صراعها المستمر ضد الاتحاد السوفيتى الذى كان نفوذه فى المنطقة يزداد عاماً بعد عام .

وكانت سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط تعمل على تأييد ودعم إسرائيل سياسياً وعسكرياً واقتصادياً على حساب الشعب الفلسطينى ، كما أنها كانت تعمل على

تطويق الاتحاد السوفيتى بسلسلة من القواعد والأحلاف العسكرية فى منطقة الشرق الأوسط لأهميتها الإستراتيجية والاقتصادية . ومن هنا اختلفت وجهات النظر السياسية بين مصر والولايات المتحدة .

فقد حاولت الولايات المتحدة وإنجلترا جذب مصر وبعض الدول العربية الأخرى للاشتراك فى حلف عسكرى غربى – حلف بغداد – إلا أن الرئيس عبد الناصر رفضه باصرار ، وعمل بكل جهد ممكن لمنع الدول العربية من الاشتراك فيه على أساس أن ميثاق الضمان الجماعى العربى يكفل الدفاع عن المنطقة فى إطار الأمن العربى . لذلك كان الرفض المصرى لسياسة الأحلاف العسكرية سبباً رئيسياً من أسباب توتر العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر ، حيث خاض الرئيس عبد الناصر معركة سياسية ناجحة ضد حلف بغداد فى وقت كانت تعلن فيه الولايات المتحدة على لسان وزير خارجيتها جون فوستر دالاس « من ليس معنا فهو علينا » . وكانت نتيجة هذه المعركة السياسية أن الدولة العربية الوحيدة التى اشتركت فى حلف بغداد كانت العراق بجهد رئيس وزرائها نورى السعيد ، وخرجت منه بقيام ثورة العراق .

صفقة الأسلحة السوفيتية لمصر :

وتوتر الموقف فى الشرق الأوسط ، عندما أعلنت مصر عن عقد صفقة أسلحة سوفيتية – عن طريق تشكسلوفاكيا – لأول مرة . وكانت الصفقة نصراً سياسياً كبيراً للاتحاد السوفيتى ومصر ، وصدمة قوية للولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا وإسرائيل .

لقد كانت مصر فى حاجة لتسليح القوات المسلحة للدفاع ضد اعتداءات إسرائيل المتكررة ، وحاول الرئيس عبد الناصر الحصول على السلاح من الولايات المتحدة دون جدوى . ولذلك عقد الصفقة مع الاتحاد السوفيتى ، وكان ذلك إيذاناً بكسر سياسة احتكار السلاح لأول مرة . وكان رد فعل عقد هذه الصفقة شديداً لدى الولايات المتحدة ودول غرب أوربا التى أصبحت تنظر لهذا التطور الجديد نظرة خطيرة .

كان تقييم الولايات المتحدة لأثر هذه الصفقة ، هو ما أبداه دالاس وزير الخارجية

الأمريكية فى مقابلة مع سفيرنا فى واشنطن ، حيث قال له دالاس[1]:

« إنه لا يريد أن يخفى أن مسألة شراء مصر للأسلحة من الكتلة الشرقية قد أزعجته كثيراً .. إن تصرف مصر كان صدمة قوية للحكومة الأمريكية وسياستها الخارجية مما وصفه البعض بأنه أكبر هزيمة لسياسة أمريكا الخارجية بعد فشلها الأول فى الصين ... إن ممثلى إسرائيل قد صرحوا بأنه لا يمكن ان تنتظر إسرائيل حتى يكمل العرب استعدادهم للقضاء عليها ... إن صفقة الأسلحة التى عقدتها مصر مع الكتلة الشرقية ستسبب للحكومة الأمريكية حرجا فى شأن استمرار مساعدتها الاقتصادية لمصر ، لأن كرامة أمريكا الآن أصبحت فى الميزان » .

وكان تقييم إنجلترا للنتائج والآثار التى ترتبت على صفقة الأسلحة ، ما كتبه المارشال تمبلر رئيس هيئة الدفاع عن الامبراطورية يوم ١٥ أكتوبر ١٩٥٥ فى تقرير مبدئى يقول فيه[2]:

« إن الصفقة أدت إلى انقلاب فى هيكل الدفاع عن المنطقة فى الشرق الأوسط ، وأن الاتحاد السوفيتى قفز فوق حلف بغداد ، وأصبح له وجود مؤثر فى قلب الشرق الأوسط أى فى القاهرة .

وبنى تمبلر تقديره على أسباب منها ، أن تسليح الجيش المصرى بهذه الصفقة سوف يحدث خللاً فى موازين القوى الاقليمية ، وسوف يمكن مصر من ممارسة دور أكبر فى الشرق الأوسط ... إن ذلك يعنى أن مصر لن تنضم الآن ولا مستقبلاً إلى حلف دفاعى غربى فى الشرق الأوسط .. إن المثل الذى ضربته مصر سوف يغرى آخرين بأن يسلكوا نفس الطريق ... إن هذا الوضع سوف يؤدى إلى سباق سلاح فى المنطقة ، ولا يستبعد أن تقرر إسرائيل أن تهاجم مصر قبل أن يتمكن الجيش المصرى من استيعاب أسلحته الجديدة ، ولذلك فإن مستقبل الاستقرار فى قلب المنطقة مستبعد لفترة طويلة » .

أما فرنسا ، فقد كانت تقف موقفاً عدائياً من مصر للمساعدات التى تقدمها للجزائر

---

(١) محمد حسنين هيكل – ملفات السويس – ص ٣٦٦ .

(٢) المرجع السابق – ص ٣٦٨ ، ٣٦٩

فى نضالها الوطنى ضد الاحتلال الفرنسى . وكانت فرنسا ترى تسخين الجبهة المصرية حتى تنشغل مصر عن مساعدة الجزائر .

وكان رأى إسرائيل بعد صفقة الأسلحة السوفيتية أنه « من الضرورى القيام بهجوم ضد مصر يهدف إلى فتح المضايق إلى إيلات والعمل على اسقاط عبد الناصر ، لأن جلاء القوات البريطانية عن قناة السويس مع تسليح القوات المصرية بعقد صفقة الأسلحة الجديدة يشكل خطراً على إسرائيل » .

وهكذا تطابقت أهداف ومصالح الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا وإسرائيل ضد مصر لاستعادة زمام المبادأة فى المنطقة بما يحقق مصالح الغرب فيها على المدى القريب والبعيد ، ويحقق فى نفس الوقت مصالح إسرائيل .

العدوان الثلاثى على مصر :

وحانت الفرصة أمام إنجلترا وفرنسا وإسرائيل عندما قامت مصر بتأميم شركة قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦ ، فشنت الدول الثلاث الحرب ضد مصر لإعادة احتلال منطقة القناة واسقاط نظام حكم الرئيس عبد الناصر .

كانت خطة العدوان — تنفيذاً « لاتفاقية سيفر » التى عقدت سراً بين الدول الثلاث فى فرنسا — تقضى بأن تقوم القوات الإسرائيلية يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ — بالهجوم ضد القوات المصرية فى سيناء بهدف الوصول إلى منطقة القناة فى اليوم التالى . وتوجه الحكومتان البريطانية والفرنسية يوم ٣٠ أكتوبر نداء إلى الحكومتين المصرية والإسرائيلية تطلبان فيه وقف إطلاق النيران وسحب كل القوات المسلحة إلى مسافة عشرة أميال بعيداً عن قناة السويس ، وأن تقبل مصر احتلال المواقع الرئيسية على القناة بواسطة قوات بريطانية وفرنسية لضمان حرية المرور فى القناة لكل السفن من كل الدول إلى حين الوصول إلى ترتيبات نهائية مضمونة . وإذا رفضت مصر هذا النداء أو تأخرت فى إعلان موافقتها عليه خلال ١٢ ساعة ، فإن القوات البريطانية الفرنسية تقوم بالهجوم على القوات المصرية فى الساعات الأولى من صباح يوم ٣١ أكتوبر . ونصت الاتفاقية أيضاً أن يكون لإسرائيل أن ترسل قواتها لاحتلال شاطىء خليج العقبه وجزر تيران وصنافير لكى تضمن حرية الملاحة فى الخليج .

كان دور إسرائيل هو أن تقوم بهجوم برى ضد قواتنا فى سيناء (مواقع أبو عجيله) مع إسقاط قوة من رجال المظلات فى المنطقة شرق « ممر متلا » على مسافة ٦٥ كيلومتراً من القناة . يلى ذلك قيام القوات البريطانية الفرنسية بهجوم جوى ضد المطارات المصرية لتدمير الطائرات بها ، واسقاط جوى وإنزال بحرى على نطاق واسع فى منطقة القناة لاحتلالها ، ويكون المبرر لذلك أمام الرأى العام العالمى أنها عملية عسكرية للفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية لتأمين حرية الملاحة فى القناة أمام السفن لكل الدول .

ومن الواضح أن فكرة خطة العدوان كانت تهدف إلى استخدام إسرائيل لجذب القوات المصرية إلى سيناء لمواجهة الهجوم الإسرائيلى الثانوى ، وبالتالى يسهل احتلال منطقة القناة بقوات الهجوم الرئيسى — الإنجليزى الفرنسى — وتدمير القوات المصرية الموجودة فى سيناء بالتعاون مع القوات الإسرائيلية . وبذلك يتحقق الهدف السياسى الذى كانت تهدف إليه الدول الثلاث وهو احتلال منطقة القناة وإسقاط حكم عبد الناصر .

□ □ □

انتهى العدوان بفشل سياسى وعسكرى لكل من إنجلترا وفرنسا ، كما أن إسرائيل ظهرت بوضوح أنها قاعدة متقدمة للدول الكبرى التى تحاول السيطرة على الدول العربية !. فالقوات البريطانية الفرنسية قد فشلت — استراتيجيا — لعدم إمكانها احتلال منطقة القناة ، وان كانت نجحت — تكتيكياً — فى معركة بورسعيد باحتلالها . أما القوات الإسرائيلية فقد فشلت فى المعركتين اللتين خاضتهما فى سيناء ، وهما معركتا « أبو عجيلة ومتلا » ، إلا أن انسحاب القوات المصرية من سيناء تنفيذاً للقرار السياسى بذلك أعطى الفرصة لإسرائيل لتحقيق هدف سياسى هو فتح مضايق تيران ، وهو ما لم يتم بالقوة العسكرية بل بالجهود السياسية للمجتمع الدولى .

أما عن القوات المصرية فقد نجحت — تكتيكيا — فى معركتى أبو عجيله ومتلا ، وقامت باخلاء سيناء بقرار سياسى تفادياً لحصارها وتدميرها فى حالة احتلال إنجلترا وفرنسا لمنطقة القناة . كما أنها اضطرت أيضاً لاخلاء بورسعيد تحت ضغط القوات البريطانية الفرنسية المتفوقة عليها تفوقاً ساحقاً . ومن الناحية الاستراتيجية فإنها لم تتمكن من تأمين الدولة من اتجاه الشرق أو الشمال .

لقد اضطرت إنجلترا وفرنسا وإسرائيل ، تحت ضغط كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والمجتمع الدولى ، إلى الانسحاب من الأراضى المصرية . فقد وقفت الولايات المتحدة بصلابة ضد هذا العدوان الذى تم تدبيره – تخطيطاً وتنفيذاً – سراً من وراء ظهرها ، كما وقف الاتحاد السوفيتى موقفاً حازماً بانذار قوى هدَّد فيه بعمل عسكرى حاسم ضد الدول الثلاث .

وبعد أن توقفت النيران فى سيناء ، ظهر أحد أهداف إسرائيل التوسعية ، عندما أعلن بن جوريون فى الكنيست « أن السيادة المصرية على سيناء قد سقطت وأصبحت سيناء جزءاً لا يتجزأ من إسرائيل » . وكانت صدمة لإسرائيل عندما اضطرت للانسحاب من سيناء وقطاع غزة بعد انسحاب القوات الإنجليزية الفرنسية من بورسعيد .

وبانتهاء العدوان الثلاثى ، كانت إسرائيل قد حققت أحد أهدافها السياسية بفتح مضايق تيران فى مدخل خليج العقبه أمام الملاحة الإسرائيلية ، بعد أن قررت الأمم المتحدة وضع قوات طوارىء دولية فى شرم الشيخ وعلى حدودنا الشرقية وعلى حدود القطاع الفلسطينى فى غزة الذى كانت تديره مصر .

لقد نجحت مصر سياسياً فى مواجهة هذا العدوان على المستوى الدولى والاقليمى والمحلى ، الأمر الذى أدى إلى تحويل الموقف لصالح القضية المصرية العادلة . وكان النجاح السياسى الذى حققته القيادة السياسية ، والذى انتهى بانسحاب القوات المعتدية الثلاث ، قد غطى على كل قصور عسكرى أمام الرأى العام فى مصر .

كان من الضرورى أن تتعمق القيادة السياسية والعسكرية فى مصر فى تحليل نتائج هذه الحرب ، والخروج منها بالدروس المستفادة لتطوير قواتنا المسلحة بما يجعلها قادرة على تحقيق وتنفيذ مهامها العسكرية بنجاح لتأمين الدولة من الشرق ضد عدو قائم على حدودنا – إسرائيل – بعد أن أعلنت رسمياً نواياها لضم سيناء لأراضيها . ويستتبع ذلك أن يكون لدينا الجهاز العسكرى القادر – تخطيطا وتنفيذا – على الدفاع عن سيناء وردع العدو ، وعدم إخلاء سيناء – كما حدث خلال العدوان الثلاثى – تحت أى ظرف من الظروف . كما كان من الضرورى الارتفاع بمستوى القوات الجوية والدفاع الجوى إلى أعلى درجة من الكفاءة على ضوء خبرة العدوان فيتم تأمين الدولة ضد هجمات العدو الجوية ولا يتكرر تدميرها كما حدث فى هذه الحرب . وبصفة عامة كان يجب عمل دراسة عميقة لوضع خبرة هذه الحرب موضع التطبيق فى كل مجالات العمل العسكرى ، ولكن

هذه الدراسة لم تتم بالعناية اللازمة والأهمية الواجبة . وكان ذلك بداية سلسلة من الأخطاء السياسية والعسكرية أدت فى النهاية إلى هزيمة يونيو التى تكرر فيها ما حدث فى العدوان الثلاثى من الانسحاب من سيناء إلى تدمير قواتنا الجوية على الأرض .

وفى الجانب الآخر ، أخذت إسرائيل من نتائج حرب العدوان الثلاثى ودروسها منطلقاً لتطوير قواتها العسكرية جذرياً مما أدّى فى النهاية إلى نجاحها فى حرب يونيو .

الوحدة بين مصر وسوريا :

وازدادت المنطقة غلياناً عندما أعلنت الوحدة بين مصر وسوريا وقيام « الجمهورية العربية المتحدة » فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ ، وهى الوحدة التى لم تدرس نتائجها دراسة متأنية لأبعاد هذا العمل وتأثيره على ميزان القوى فى الشرق الأوسط وصراع القوى فى المنطقة . لذلك قوبلت هذه الوحدة بتحفظ شديد من جانب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وإنجلترا وفرنسا ، كما قوبلت بالحذر من جانب بعض الدول العربية ، ولكل من هذه الدول أسبابها فى التحفظ والحذر .

وتلاقت مصالح إسرائيل مع مصالح الدول الكبرى فى نظرتها لخطورة هذه الخطوة ، حيث أصبحت إسرائيل تواجه دولة واحدة كبيرة على حدودها الشمالية والجنوبية الأمر الذى يزيد من قدرتها السياسية والعسكرية فى أى صراع ضد إسرائيل .

ثـورة العـراق :

وحدث انفجار آخر كبير فى المشرق العربى بقيام ثورة العراق فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ بعد عدة شهور من وحدة مصر وسوريا . قامت هذه الثورة ضد نظام الحكم فى العراق الذى كان يرتبط بإنجلترا ارتباطا وثيقاً ، وتولى الحكم عسكريون ينادون بالقومية العربية والتحرر من النفوذ الأجنبى . ومن هنا انسحبت العراق من « حلف بغداد » الذى كان يمثل حلقة من حلقات الأحلاف الغربية العسكرية ضد الاتحاد السوفيتى ، ورمزاً لوجود وسيطرة الدول الغربية على بعض دول الشرق الأوسط ، وهو ما كانت تعارضه مصر بشدة .

لقد كانت ثورة العراق ضربة قوية للنفوذ الغربى فى المنطقة ، كما كان طبيعياً

أن تنال التأييد الكامل من جانب مصر لنشر لواء القومية العربية وإبعاد الدول العربية عن مناطق نفوذ الدول الغربية . وقد نالت هذه الثورة تأييد الاتحاد السوفيتى لكسر إحدى حلقات الأحلاف العسكرية ضدها . أما إسرائيل فكانت تنظر بالاستياء والحذر تجاه ثورة العراق ، لأنها تعلم أن قوة العراق فى عهدها الجديد هى إضافة مؤثرة لقوة العرب .

لبنان والأردن :

واشتعل الموقف فى المشرق العربى ، فى أعقاب الوحدة بين مصر وسوريا ، ثم قيام ثورة العراق ، عندما قامت انتفاضات شعبية فى كل من لبنان والأردن الأمر الذى هدَّد نظم الحكم فيهما وأوجد حالة عدم استقرار داخلى فى الدولتين .

اضطر الرئيس كميل شمعون رئيس دولة لبنان إلى طلب المعونة العسكرية من الولايات المتحدة فوصلته القوات الأمريكية بحراً . كما طلب الملك حسين المعونة العسكرية من إنجلترا فوصلته القوات البريطانية جواً .

وكان رد الفعل الطبيعى لهذه الخطوة هو ازدياد العداء ضد النفوذ الغربى لتدخله العسكرى فى المنطقة . وحمل عبد الناصر لواء التحدى له ، كما أن الاتحاد السوفيتى – تحقيقاً لمصالحه الاستراتيجية – وقف ضد هذا التدخل العسكرى ، إلى أن انسحبت القوات الأمريكية والإنجليزية بعد أن استقرت الأوضاع الداخلية فى كل من لبنان والأردن .

انفصال سوريا عن مصر :

وهكذا مرت المنطقة العربية بفترة حرجة وحساسة تصارعت فيها القوى الكبرى والاقليمية . وكان من أبرز ملامح هذه الفترة هو تأثير القومية العربية فى المشرق العربى ، والتحرر من النفوذ الغربى وتقليصه تدريجياً ، وإزدياد النفوذ السوفيتى . وكان واضحاً أن مصر تقوم بدور رئيسى ومؤثر فى تطور أحداثها ، وأصبح تأثير الرئيس عبد الناصر شديداً على الموقف السياسى بالمنطقة ، وارتفعت شعبيته بين الجماهير العربية ارتفاعاً كبيراً .

وكان لا بد أن تضع الولايات المتحدة ودول غرب أوربا التخطيط لاستعادة نفوذها وتأمين مصالحها الحيوية فى المنطقة . وكان ذلك يتطلب العمل للحد من تأثير القومية العربية ، وعدم تشجيع أى وحدة عربية ، وتقليص دور مصر ونفوذها ، وتحطيم شعبية الرئيس عبد الناصر .

نشطت القوى الكبرى وبعض الدول العربية لهدم الوحدة بين مصر وسوريا بتشجيع الانفصال استغلالاً لأخطاء السياسة الداخلية للحكم فى سوريا التى لم تلب مطالب الشعب السورى وأمله فى هذه الوحدة . وحدث الانفصال على أثر إنقلاب عسكرى تم فى سوريا يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ أثناء وجود المشير عبد الحكيم عامر فى دمشق .

وكان رد فعل هذا العمل شديداً على مصر والرئيس عبد الناصر الذى أعلن أن هذا هو الطريق الذى اختارته سوريا ، فليحفظها الله ويبارك خطواتها ، وعلى الجميع أن يحترموا إرادتها واختيارها .

ودون الشرح لأسباب الانفصال ، فالنتيجة المؤلمة تظل واضحة ، وهى أن الانفصال كان ضربة مضادة قوية لفكرة الوحدة العربية ، وهزيمة للقومية العربية الأمر الذى يدعو للحزن والأسى ، وتقليصاً لدور مصر ، وتخفيضاً لشعبية عبد الناصر .

ونتيجة للانفصال ، نشأ صراع داخل القيادة السياسية فى مصر . فقد « حمَّل[1] الرئيس عبد الناصر مسئولية الانفصال الأدبية والعسكرية للمشير عامر . ولم يظهر هذا الخلاف بينهما على السطح ولم يكن معروفاً » . ويبدو أن أثر هذا الصراع قد تعمق تدريجيا وأصبح له أبعاد أخرى عرقلت وضع استراتيجية عسكرية للدولة إلى أن دخلت مصر حرب يونيو ١٩٦٧ .

ولقد حاول الرئيس عبد الناصر – نتيجة للانفصال – إعادة تنظيم الهيكل القيادى والتنظيمى للدولة على أسس جديدة ، كان أحدها أن تكون القوات المسلحة داخل الاطار الطبيعى لأجهزة الدولة ، ولا يتولى الأعضاء القدامى فى مجلس قيادة الثورة أى سلطة تنفيذية ويقتصر عملهم على التخطيط والمتابعة فقط . رفض المشير عامر اقتراح الرئيس عبد الناصر ، لأنه اعتقد أن الرئيس عبد الناصر يريد أن يسيطر ويقود

---

(١) شهادة الفريق أول محمد فوزى أمام لجنة تسجيل التاريخ . نص الشهادة بالكامل منشور فى كتاب الأستاذ موسى صبرى بعنوان (السادات الحقيقة والأسطورة) – ص ٣٦٧ وما بعدها .

القوات المسلحة ، لأن المشير عامر ليس فى الكفاءة أو القدرة على هذه القيادة » . ومنذ ذلك الوقت بدأ صراع السلطة بين الرئيس عبد الناصر والمشير عامر .

حـرب اليمـن :

وفى العام التالى لانفصال سوريا عن مصر ، قامت ثورة اليمن الشمالية عام ١٩٦٢ . اتجهت قيادة الثورة إلى مصر تطلب معونتها لتثبيت أقدامها ضد المحاولات التى بذلت للقضاء عليها . قدمت مصر المعاونة العسكرية لليمن تحريراً لها من نظام حكم فَرض عليها التخلف ، وفتحاً لطريق التقدم أمامها . كما أن هذا العمل من جانب مصر يعتبر عملاً غير ودى لنظام الحكم فى المملكة العربية السعودية التى أعلن حينئذ أنها لعبت دوراً رئيسياً لانفصال سوريا عن مصر .

بدأت المعاونة العسكرية لليمن محدودة ، ثم تورطت فيها مصر تدريجياً حتى أصبح حوالى ثلث قوات الجيش يقاتل هناك ، وأصبح ذلك يشكل تهديداً للمملكة العربية السعودية التى كانت تناهض الحكم الجمهورى فى اليمن . وقد عملت المملكة العربية السعودية على تقديم المعاونة المادية والمعنوية لرجال القبائل اليمنية التى تقاتل القوات المصرية بغرض إرهاق مصر مادياً واستنزاف القوات المصرية بشريا ومعنوياً .

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية – تؤيدها الدول الغربية – تعارض تواجد القوات المصرية فى اليمن الشمالية لمنع امتداد نفوذ الثورة المصرية إلى مناطق البترول الأمر الذى يعرض مصالحها الحيوية للخطر ، وهو ما لا تسمح به إطلاقاً ، بالاضافة إلى ما يحققه التواجد السوفيتى فى اليمن – عن طريق التواجد المصرى إذا ثبتت أقدامه هناك – من مزايا استراتيجية كبيرة وهو ما تعارضه الدول الغربية تماماً . كما كانت إنجلترا ترى أن التواجد العسكرى المصرى فى اليمن الشمالية يهدد مصالحها فى اليمن الجنوبى المحتل حينئذ .

لذلك اتفقت مصالح الولايات المتحدة وإنجلترا والمملكة السعودية – تؤيدها دول غربية وعربية أخرى – على انتهاز فرصة تورط مصر فى حرب اليمن أطول وقت ممكن لاستنزافها وإرهاقها دون السماح لها بتحقيق نصر عسكرى ، حاسم ، إلى أن يحين الوقت المناسب لتوجيه ضربة مضادة قوية لمصر لتقليص نفوذها فى الوطن العربى وتحجيم نفوذ عبد الناصر داخل مصر فقط .

وكانت إسرائيل هى الدولة التى يمكنها توجيه هذه الضربة إلى مصر ، خصوصا وأن ذلك يتفق مع مصالحها وسياستها فى المنطقة ، وتستعد لخوض حرب شاملة ضد مصر منذ انتهاء العدوان الثلاثى ، ووجدت أن المناخ السياسى يهيأ تدريجيا ضد مصر دوليا وعربيا خلال فترة تورطها فى حرب اليمن التى استمرت خمس سنوات .

لقد قدر قائد القوات المصرية فى اليمن خطورة استمرار هذه الحرب حتى أصبحت نزيفاً لمصر وقواتها المسلحة ، وكان الفريق[1] أنور القاضى قائداً لهذه القوات من أكتوبر ١٩٦٢ حتى نوفمبر ١٩٦٣ ، وفى مقابلة له مع الرئيس عبد الناصر فى مايو ١٩٦٣ شرح له الصورة الحقيقية للموقف فى اليمن . وكان رأى الفريق القاضى الذى أبداه « إحنا عملنا اللى علينا وأكثر ، ولا بد أن ننسحب بأسرع ما يمكن من هذا الفخ » . ولكن الرئيس عبد الناصر قال « الانسحاب بقواتنا مش ممكن ... معنى كده إنهيار ثورة اليمن ... والعملية سياسية أكثر منها عسكرية ... أنا اعتبر أننا وجهنا ضربة مضادة لضربة الانفصال فى سوريا ، ولا يمكن أن نترك اليمن » .

حاول الفريق القاضى مرة أخرى التحذير من الفخ وقال للرئيس عبد الناصر « لا بد إذن من التفاهم مع السعودية لأن الوضع بهذا الشكل لن ينتهى أبداً ، خصوصاً وأن معظم قبائل الجوف وصعدة تدين بالولاء للسعودية من سنين ... وأخيراً فهمت من سياق الحديث أن عبد الناصر مقتنع بضرورة التفاهم مع السعودية لانهاء الحرب فى اليمن على أساس بقاء النظام الجمهورى ، ووعدنى أنه سوف يقوم بعمل التسوية مع الملك سعود قبل نهاية ١٩٦٣ حتى يمكن تنفيذ خطة عودة الجيش من اليمن ، ولكن هذا التفاهم تأخر كثيراً ، ولم يتم إلا مع الملك فيصل » .

إسرائيل تستعد للحرب :

بينما كانت مصر متورطة عسكرياً فى حرب اليمن ، وبينما كانت مؤتمرات القمة العربية تصدر عنها قرارات غير قابلة للتنفيذ سياسياً أو عسكرياً ، فإن إسرائيل كانت تستعد للحرب .

لقد استخلصت إسرائيل من حرب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ درساً سياسياً هاماً .

---

(١) حديث الفريق أنور القاضى لرئيس تحرير مجلة آخر ساعة - القاهرة - ٨ يونيو ١٩٨٨ .

فقد وجدت نفسها مضطرة للاعتماد على إنجلترا وفرنسا اعتماداً كاملاً فى الدفاع عن الدولة خلال هذا الاعتداء . ومعنى ذلك أنها لن تتمكن من تنفيذ سياستها التوسعية فى المنطقة ، ولذلك كان الدرس المستفاد لها هو ضرورة أن يكون لها « قوة عسكرية ذاتية » قادرة على هزيمة الدول العربية المجاورة دون معاونة من الدول الكبرى كما حدث فى العدوان الثلاثى .

وقد عبَّر الجنرال ديان عن موقف إسرائيل حينئذ بقوله « لولا العملية الإنجليزية الفرنسية ، لكان هناك شك فى أن إسرائيل يمكنها أن تقوم بحملة سيناء » . وبتعبير آخر منه قال ديان « إن إسرائيل لم تكن وحدها ، ولكنها كانت كراكب الدراجة الذى يمسك بيده سيارة لورى مسرعة فتجره معها بسرعتها الأكبر » .

وكان الدرس الرئيسى الثانى الذى استخلصته إسرائيل من هذه الحرب ، هو ضرورة ارتباطها بالولايات المتحدة بصفتها احدى القوتين العظميين فى العالم . لقد كان لإسرائيل « علاقة خاصة » بكل من فرنسا وإنجلترا حتى حرب العدوان الثلاثى ١٩٥٦ بالنسبة لتسليح قواتها المسلحة ، وحصلت إسرائيل خلال الفترة من ١٩٥٧ حتى عام ١٩٦٦ على الأسلحة من الدول الغربية التى تضمن لها « التفوق العسكرى » على الدول العربية تحت شعار وستار « توازن القوى فى المنطقة » . وأعطت إسرائيل اهتماماً خاصاً لسلاحها الجوى وقواتها المدرعة وقوات المظلات بحيث يكون لها القدرة على القيام بعمل عسكرى حاسم وسريع ضد الدول العربية .

ونجحت إسرائيل فى إيجاد « علاقة خاصة » مع الولايات المتحدة ، بأن تكون مورِّداً مباشراً للسلاح إلى إسرائيل ، منذ أن وافقت على بيع صفقة صواريخ « هوك » مضادة للطائرات لها . وبذلك أصبحت أمريكا – خصوصاً فى عهد الرئيس جونسون – تقف موقف المؤيد السياسى لإسرائيل والمورد الرئيسى للسلاح لها .

□ □ □

وبنهاية عام ١٩٦٦ ، استكملت إسرائيل استعدادها العسكرى للحرب الشاملة ضد الدول العربية ، وأصبحت الظروف الدولية والمحلية تشكل أنسب الظروف لشن الحرب .

فقد اطمأنت إسرائيل للدعم السياسى والعسكرى المستمر من جانب الولايات

المتحدة ، وأصبحت العلاقات بينهما تزداد قوة فى المجالات المختلفة . وتدهورت العلاقات السياسية بين مصر والولايات المتحدة فى عهد الرئيس جونسون لانحيازه الكامل لإسرائيل ووقوفه بصلابة وعناد ضد سياسة مصر . وتطورت العلاقات العربية - برغم مؤتمرات القمة - حتى أصبحت فى حالة تفكك . وأصبحت « القيادة الموحدة لجيوش الدول العربية » التى أنشئت بقرار من مؤتمر القمة فى يناير ١٩٦٤ ، مجمدة ومشلولة دون أى فعالية . ولم تجد قرارات مؤتمرات القمة العربية طريقها للتنفيذ لعدم القدرة أو الرغبة فى تنفيذها . وكانت القوات المصرية تقاتل فى اليمن لعدة سنوات وهى القوة العسكرية الرئيسية التى يمكنها أن تقف ضد إسرائيل ، واطمأنت إسرائيل لتفوقها العسكرى ضد الدول العربية مجتمعة .

وبذلك تكاملت الظروف السياسية والعسكرية التى تدفع إسرائيل للحرب لتحقيق أهدافها التوسعية ، وفى نفس الوقت تطابقت مصالح الولايات المتحدة مع مصالح إسرائيل لتوجيه ضربة قوية ضد مصر لتقليل وتحجيم نفوذها فى الوطن العربى ، وتحطيم نظام حكم الرئيس عبد الناصر . ولم يصبح أمام إسرائيل - بالتنسيق مع الولايات المتحدة - إلا إيجاد المبرر لبدء الحرب ضد - العدو الرئيسى - مصر . فإذا هُزمت مصر تكون قد هُزمت باقى الدول العربية المجاورة ، واستعادت الولايات المتحدة نفوذها فى المنطقة ، وحققت إسرائيل أهدافها ، فى هذه المرحلة من الصراع .

ذريعة لبدء الحرب :

ولكى تكون هناك ذريعة مقبولة لبدء الحرب الشاملة ، قامت إسرائيل بإغارة قوية على قرية السموع الأردنية يوم ١٣ نوفمبر ١٩٦٦ بحجة تدمير قواعد الفدائيين الفلسطينيين ، خسرت فيها الأردن حوالى سبعين فرداً بين قتيل وجريح . وعبَّرت الأردن عن خيبة أملها فى كل من مصر وسوريا لأنهما لا يتحملان مسئولياتهما فى الصراع ضد إسرائيل . والحقيقة أن إسرائيل قامت بهذه الاغارة بمثل هذا العنف ردعاً للأردن من جهة ، ولاختبار رد فعل كل من سوريا ومصر بصفة خاصة والدول العربية بصفة عامة ومدى قدرتها على العمل المشترك على ضوء قرارات مؤتمرات القمة العربية ، واطمأنت إسرائيل - عملياً - إلى رد الفعل السلبى من جانب العرب .

وأخذ التخطيط الإسرائيلى للعدوان على العرب سمة جادة مع بداية عام ١٩٦٧ ، فقد كان النشاط الفدائى الفلسطينى مركزاً فى ربيع ذلك العام ضد تحويل مياه نهر الأردن العربية إلى النقب لاستعماره بالمزيد من المهاجرين الصهيونيين الجدد . ووجهت إسرائيل الاتهامات لحكومة سوريا تحت زعم أنها تقوم بتشجيع أعمال الفدائيين داخل الأرض المحتلة ، ونشط المسئولون الإسرائيليون يؤلبون الرأى العام العالمى ضدها .

وأسهم وزير خارجية إسرائيل فى هذه الحملة ضد سوريا ، فأرسل فى العاشر من مايو ١٩٦٧ يطلب من سفراء إسرائيل بالخارج العمل على اقناع الدول التى يعملون فيها بخطورة الوضع على الحدود السورية الإسرائيلية ، والتأكيد بأن سوريا هى المسئولة عن الأعمال الفدائية الفلسطينية .

وأدلى رئيس حكومة إسرائيل بتصريح ، فى معركة التمهيد النفسانى للعدوان ، بأن « حرب العصابات لا يقبلها العقل ، ولا يمكن ترك الأمر لها فى إسرائيل . ومن الواضح أن سوريا هى مصدر التخريب والمخربين الذين يفدون إلينا » . ولم يكن بكاء إسرائيل إلا لخلق الذريعة المناسبة لتضفى على خططها العدوانية صفة الاضطرار ، فقد تناسى اشكول رئيس وزراء إسرائيل الادانات المتكررة لها أمام مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة ، وأنها تفوق كل الدول المجتمعة فيما اقترفته من اعتداءات وإراقة الدماء العربية منذ نشأتها . كما أنه نسى ما سبق أن صرح به « مناحم بيجن » غداة الجولة العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨ عندما قال « لولا مذابح دير ياسين لما كانت إسرائيل » .

وحدث اشتباك بالنيران على الحدود السورية تدخل فيه الطيران الإسرائيلى والسورى يوم ٧ أبريل ١٩٦٧ فقدت فيه سوريا ست طائرات ، الأمر الذى وضع مصر فى موقف حرج لارتباطها مع سوريا باتفاقية دفاع مشترك . والحقيقة أن الهدف من المعركة الجوية فى ذلك اليوم كان معرفة رد فعل مصر بالذات ، ومدى استعدادها لتقديم المعاونة لسوريا وحجمها وأسلوب تنفيذها ، وجرها للمعركة إن اتخذت موقفاً إيجابياً .

استمرت إسرائيل فى تصعيد الموقف وخلق التوتر على الحدود السورية . وكرر قادة إسرائيل تهديداتهم العلنية لسوريا بأسلوب مثير ، إلى أن هدّد الجنرال إسحق رابين رئيس

الأركان الإسرائيلى باعلانه من إذاعة إسرائيل يوم ١٢ مايو ١٩٦٧ « إننا سنشن هجوماً خاطفاً على سوريا ، وسنحتل دمشق لاسقاط نظام الحكم فيها ، ثم نعود .. » .

أخذت مصر تهديدات إسرائيل بطريقة جدية ، ووجد الرئيس عبد الناصر لزاما على مصر أن تتعاون مع سوريا فى حالة الاعتداء عليها . وكان حشد القوات المصرية فى سيناء هو العمل الايجابى الذى يعبّر عن هذه النوايا .

وانتقل التوتر العسكرى من الحدود السورية الإسرائيلية إلى الحدود المصرية الإسرائيلية . وكان ذلك الخطوة الأولى لاستدراج مصر إلى طريق يؤدى إلى حرب ، تعلم إسرائيل أنها استعدت لها ، وتعلم أن مصر ليست على استعداد لها .